



المذهب الكلامی

نویسنده: معرفت، محمد هادی

علوم قرآن و حدیث :: رسالة القرآن :: مهر 1369 - شماره 2

از 59 تا 64

آدرس ثابت : <http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/4457>

دانلود شده توسط : جعفر رضانی

تاریخ دانلود : 1393/06/04 01:31:00

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.com

المذهب الكلامي

الشيخ محمد هادي معرفة



الإسلام

هو من ظريف البديع، أن يسترسل الشاعر في تغزله، والخطيب في تفكّحه، فيستظرف في اسلوب بيانه: يقترب من مطلوبه شيئاً، ويدنو اليه على طريقة أهل الاستدلال في خُطى حثيثة متواصلة، بتمهيد مقدمات منتهية الى النتيجة المتوخاة. فيأتي بشواهد ودلائل، ويقيس كما يقيس الفقيه المتكلف، ويبرهن على شاكلة الحكيم المتفلسف، وهكذا يقترب من مقصوده ملياً.. وهو فنّ من اساليب البيان، دقيق مسّه، رقيق رسمه. قلّ من يتوفّق لمثله في قدرة الاستحواذ على مشاعر من سمع الخطاب. «ان من البيان لسحراً».

أنشد ابن المعتز لنفسه:

أسرفتُ في الكتمان

وذاك منى دهاني^(١)

كتمتُ حبك حتى

كتمته كتمانى

فلم يكن لي بدّ

من ذكره بلساني

قال ابن رشيق: وهذه الملاحه نفسها،

والظرف بعينه.

وقال ابو نؤاس:

سُخّنت من شدّة البرودة حتى

صرت عندي كأنك النار

لا يعجب السامعون من صفتي

كذلك الثلج بارد حارّ

قال ابن رشيق: فهذا مذهب كلامي فلسفي..^(٧).

قال ابن معصوم: وهذا النوع اول من ذكره الجاحظ: وهو عبارة عن ان يأتي البليغ بحجة على ما يدعيه على طريقة المتكلمين، وهي أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزماً للمدعى^(٨).

قال ابن ابي الاصبع: وزعم الجاحظ انه لا يوجد منه شيء في القرآن .. والكتاب مشحون به^(٩) ومنه محاججات ابراهيم - عليه السلام - مع قومه من قوله تعالى: «وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ...» الى قوله: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا اِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...»^(١٠). وذكروا أن من اول سورة الحج الى قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ فِي الْقُبُورِ خَمِيسَ نَتَائِجٍ» تستنتج من عشر مقدمات رتيبة.

وذكر ابو الحسن الرماني - في الضرب الخامس من باب المبالغة -: اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الاحتجاج. فمن ذلك قوله تعالى: «وَأِنَّا اَوْ اِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى اَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(١١). وقوله: «قُلْ اِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَاِنَّا اَوَّلُ الْعٰبِدِيْنَ»^(١٢) وعلى هذا النحو خرج مخرج قوله تعالى: «اصحاب الجنة يومئذ خير

مستقرًا»^(١٣) جاء على التسليم ان لهم مستقرًا خيراً من جهة السلامة من الآلام، لأنهم (اي المشركون) ينكرون اعادة الارواح الى الاجساد، فقيل: على هذا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً. ومنه قوله: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه»^(١٤) على التسليم ان احدهما اهون من الآخر فيما يسبق الى نفوس العقلاء^(١٥).

سُطُوعِ بَرَاهِينِهِ

قلت: دلائل القرآن لامعة، وبراهينه ساطعة.. لكن.. لا على الاساليب المعقدة التي ينتهجها ارباب الكلام، بل على طريقة العقلاء في متعارفهم، في قوة منطق واناقة بيان.. فقد اخذ من المسلمات (القضايا البديهية والمعترف بها) برهاناً على النظريات. ومن المشاهدات المحسوسة دليلاً على حقائق راهنة لا محيص عنها.. كل ذلك على طريقة واضحة ومجزة لائحة.. يستذيقها الطبع، ويستلذها الذوق، وتستسلم لها العقول. «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد»^(١٦).

الى الله زلقى^(١٧) فكانوا يعتبرونهم آلهة صفارا، هم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله الكبير المتعال. تعاليم ورثوها من امم مجاورة: الفرس والروم واليونان.

فان قد سلّموا بربوبية تعالى، وانه الحاكم على الخلائق اجمعين، فانه يحكم بهؤلاء وما يعبدون انهم حسب جهنم.. ولا يدخلها الا صاغر حقير، لا يملك شفاعاة ولا يستحق عبادة.

* وقوله: «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط»^(١٨). فقد رتب دخولهم الجنة على ولوج الحبل الغليظ في خرم الأبرة. ولما كان ذلك امرا ممتنعا، كان ذلك ايضا مثله. فقد ابدى امتناع دخولهم الجنة بهذا الشكل القياسي كناية بديعة.

* وقوله: «انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر»^(١٩) فقد رتب النتيجة على صغرى القياس مع حذف الكبرى لظهورها، وهي: ان من اعطاه الله الكوثر - وهي مجموعة المكرمات - فينبغي له ان يؤدّي شكره الواجب، بالابتهاال الى الله والمثلول لديه بكل الوجود.

* وقوله: «ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض»^(٢٠) قياس

* منها قوله تعالى: «قل ان كان للرحمان ولد، فانا اول العابدين»^(٢١).

هذا استدلال على الطريقة العقلانية: ان لو كان ولله ولد، كما يقوله هؤلاء البعداء عن ساحة قدسه تعالى، لكان اول معترف به هم الرسل الذين جاؤوا من عنده، وهم اقرب اليه ممن سواهم.

* وقوله: «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا...»^(٢٢). وقد اوضحته آية اخرى: «ما اتخذ الله من ولد. وما كان معه من اله. اذن لذهب كل اله بما خلق، ولعلا بعضهم فوق بعض. سبحان الله عما يصفون»^(٢٣). ايضا طريقة عقلانية يتسلمها العقلاء عند المقايسة.

* وقوله: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو اهون عليه»^(٢٤) ان كان الخصم معترفا بان الله هو الذي بدأ الخلق.. اذن فالاعادة اهون من البداية، لانها من شيء، وتلك لا من شيء.

* وقوله تعالى: «انكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها. وكل فيها خالدون»^(٢٥).

وكانت العرب تعترف بالمبدأ الاعلى وهو الله تعالى، وانما يعبدون الاوثان ليقربوهم

استثنائي مركب من قضية شرطية مضمونها: «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا»^(٢١). واخرى حملية استثنائية مضمونها: «ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى. قال ربّ لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»^(٢٢).

* وقوله: «فلما افل قال لا احبّ الافلين»^(٢٣). الكبرى مطوية، اي وكل آفل غير مستحق للعبادة.

* وقوله تعالى: «أم خُلِقُوا من غير شيء أم هم الخالقون؟»^(٢٤). هذا شبه بقياس السير والتقسيم.. لان الامر يدور بين ثلاثة: اما ان يكونوا قد خلقوا من عند انفسهم، ليس لهم خالق.. او يكونوا هم الذين خلقوا انفسهم.. او تنتهي خلقتهم الى خالق خارج من انفسهم.. ولا رابع لذلك.

اما الاول - ليكونوا قد خُلِقُوا لا من شيء، ولا خالق لهم، وانهم وجدوا لا من علّة وسبب.. فهذا مما يستحيله العقل، اذ لا معلول بلا علّة ولا موجود بلا موجد.. فلا

تترجح كفة الوجود على كفة العدم، في دائرة الممكنات، لسوى مرجح خارجي. وكذا الثاني - لانه دور مستحيل، وتوقف وجود الشيء على نفسه مما يمتنع في بديهية العقل..

اذن فالصحيح المعقول هو الفرض الثالث، انهم مخلوقون، وان لهم خالقا، هو واجب الوجود لذاته، ويكون منتهى سلسلة الموجودات في دائرة الامكان.

* وقوله تعالى: «كما بدأكم تعودون»^(٢٥). وقوله: «كما بدأنا اول خلق نعيده»^(٢٦). وقوله: «افعيينا بالخلق الاول؟»^(٢٧).

وهذا من قياس النظر على النظر، فقد قيس امر الاعداء على امر البدء، قياساً معقولاً، لان الذي فعل شيئاً قادر على ان يفعل مثله، اذ حكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد..

بل المسألة هنا هي الاعداء، وهي اهون من الابداع.. كما سبق في قوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه»^(٢٨).

* ومن هذا القبيل قوله تعالى: «قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها

كانوا كاذبين. انما قولنا لشيء اذا اردناه: ان نقول له كن فيكون...»^(٢٠).
انظر الى هذه الحاجة اللطيفة والردّ الجميل.. كيف انهم اقساموا باللّٰه لانكار البعث.. فرّد عليهم بقوله «بلى»! وان الذي تقسمون به فانه يناقضكم صريحاً!

ثم قرّر البعث ببيان سببه الموجب..
وأخيراً امكانه بعظيم قدرته.

ولابن السيّد هنا - في هذه الآية - بيان لطيف اورده السيوطي في الاتقان.. قال:
وتقريبها، ان اختلاف الناس في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه، وانما تختلف الطرق الموصلة اليه، والحق في نفسه واحد. فلما ثبت ان هاهنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لاسبيل لنا في حياتنا الى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، اذ كان الاختلاف مركزاً في فِطْرِنَا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله الا بارتفاع هذه الجبلّة، ونقلها الى صورة غيرها، صحّ - ضرورة - ان لنا حياةً اخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد. وهذه هي الحالة التي وعد اللّٰه بالمصير اليها، فقال: «ونزّعنا ما في قلوبهم من غل»^(٢١) اي

الذي انشاها اول مرّة. وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون. وليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم. بلى وهو الخالق العليم»^(٢٢).

استدلال لطيف على امكان الإحياء.. قياساً على البدء أولاً، لان الاعادة اهنون من الانشاء.. ثم القياس على المحسوس المشاهد.. وان الذي ينشئ من العود الرطب ناراً.. كيف يعجزه افاضة الحياة على العظام الرميم؟! واخيراً فان خلق السماوات والارض اعظم من خلقهم، وهو القادر والخالق العليم بكفية الخلق والاعادة.

* وكذا جميع ما قيس من اعادة الحياة وحشر الاموات، على احياء الارض بعد موتها بالمطر والانبات.

* واجمل حجاج جاء إفحاماً للخصم وبعضاً لحجته، قوله تعالى: «واقسموا باللّٰه جهد ايمانهم: لا يبعث اللّٰه من يموت. بلى، وعداً عليه حقاً. ولكن اكثر الناس لا يعلمون. ليبينّ لهم الذي يختلفون فيه. وليعلم الذين كفروا انهم

حقد. فقد صار الخلاف الموجود - كما ترى - اوضح دليل على كون (اي ثبوت)

الهوامش:

- (١) دهمي فلانا: اصابه بدهامة.
(٢) العمدة: ج ٢ ص ٩٧ - ٨٠.
(٣) انوار الربيع: ج ٤ ص ٣٥٦.
(٤) بديع القرآن، ص ٣٧.
(٥) الانعام / ٨٠ - ٨٢)
(٦) سبأ / ٢٤.
(٧) الزخرف / ٨١.
(٨) الفرقان / ٢٥.
(٩) الروم / ٢٧.
(١٠) النكت في اعجاز القرآن: ص ١٠٥.
(١١) ق / ٣٧.
(١٢) الزخرف / ٨١.
(١٣) الانبياء / ٢٢.
(١٤) المؤمنون / ٩١.
(١٥) الروم / ٢٧.
(١٦) الانبياء / ٩٩.
- (١٧) الزمر / ٣.
(١٨) الاعراف / ٤٠.
(١٩) سورة الكوثر.
(٢٠) الاعراف / ١٧٦.
(٢١) الاسراء / ١٩.
(٢٢) طه / ١٢٤ - ١٢٦.
(٢٣) الانعام / ٧٦.
(٢٤) الطور / ٣٥.
(٢٥) الاعراف / ٢٩.
(٢٦) الانبياء / ١٠٤.
(٢٧) سورة ق / ١٥.
(٢٨) الروم / ٢٧.
(٢٩) سورة يس / ٧٨ - ٨١.
(٣٠) النحل / ٣٨ - ٤٠.
(٣١) الاعراف / ٤٣.
(٣٢) الاتقان: ج ٤ ص ٥٤.

* * *

* «فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه».

حديث شريف